TJFPS

IRAQI Academic Scientific Journals

العراقية المجلات الاكاديمية العلمية

Contents lists available at :
http://tjfps.tu.edu.iq/index.php/poltic

Tikrit Journal For Political Science

Turkey and Iran: Strategic Thinking towards the Middle East "Comparative Study"

Dr. Tareq Mohammed Dhannoon Al Taie*
Mosul University - College of Political Science - Dept of International Relations

A r t i c l e i n f o.

Article history:
- Received 21 May 2019
- Accepted 2 June 2019
- Available online 16 June 2019

Keywords:
- Strategic thinking
- Turkey
- Iran
- Middle East
- strategic performance
- International studies

Abstract: The retreat of Iraq after US occupation, the decline of the Arab states after Arab political changes, and the chaos in which following the change after 2011, led to the emergence of a strategic vacuum and absence of a unified response, thus forming an incentive for Iran and Turkey to activate their strategic performance in the Middle East. As an expression of the accumulation of the historical aspects of both powers, as well as the growing abilities, each state try to increasing of its role, but the central question, where the signs of symmetry and asymmetry?, and why?.

Turkey and Iran are a regional players in the Middle East. The strategic thinking of the two countries is based on ideology and interest. However, the interest occupies the most important place in the strategic performance, especially in addressing the political issues of Middle East. The symmetry and asymmetry are regarded the basic pillars of the Turkish and Iranian strategic thinking. The research attempts to prove that the interest occupies a more important position than ideology in Turkey and Iran, especially after the political change in the Arab world by clarifying all the characteristics of Iran and Turkey strategic thinking and conduct compares among them.

* **Corresponding Author:** Tareq Mohammed Dhannoon**, E-Mail: ,Tel: , Affiliation**: Mosul University - College of Political Science - Dept of International Relations

أيران وتركيا: دراسة مقارنة في الفكر الاستراتيجي تجاه الشرق الاوسط

م. د. طارق محمد ذنون الطائي

جامعة الموصل - كلية العلوم السياسية/فرع العلاقات الدولية

معلومات البحث :

تواريخ البحث:
- الاستلام : 21/ايار/2019
- القبول : 2/حزيران/2019
- النشر المباشر : 2019/6/16

الكلمات المفتاحية :
- الفكر الاستراتيجي
- تركيا
- ايران
- الشرق الاوسط
- الاداء الاستراتيجي
- الدراسات الدولية

الخلاصة : شكل تفكك الدولة العراقية بعد احتلال العراق، وانكفاء الدول العربية على ذاتها، وايغالها في الفوضى نتيجة التغيير والتحول بعد عام 2011 مدخلاً لتراجع الفعل العربي. اذ ان عدم وجود هيكلة عربية موحدة، مثل حافزاً لإيران وتركيا لتفعيل الاداء الاستراتيجي الوظيفي في الشرق الاوسط، الذي يُمثل انعكاس للفكر الاستراتيجي بوصفه تعبير عن تراكم التطلع التاريخي لكلا القوتين، فضلاً عن تعاظم القوة لديهما، ويرتكز الفكر الاستراتيجي للدولتين على الايديولوجية والمصلحة. ولكن المصلحة تشغل المكانة الاهم في الاداء الاستراتيجي سيما فيما يتعلق بمعالجة قضايا الشرق الاوسط. يعد التماثل واللاتماثل من المرتكزات الاساسية في الفكر الاستراتيجي التركي والايراني. يحاول البحث اثبات بان المصلحة تشغل مكانة اكثر اهمية من الايديولوجية في تركيا وايران وتحديداً بعد التغيير السياسي في العالم العربي، وتوضيح معظم مرتكزات التماثل واللاتماثل في الفكر الاستراتيجي الايراني والتركي واجراء المقارنة بينها.

المقدمة :

تتعاظم أهمية الافكار ومكانتها لدى الشعوب بمدى تحولها الى افعال، وتقييم نتائج هذه الافعال، ومدى استلهامها من الشعوب الاخرى، ومحاولة تعميمها في مجتمعاتها بوصفها قيمة عليا تسعى الى تحقيقها لإنجاز الغاية من وراء ابتكارها.

لم تعد الدول تكتفي في ترسيخ مفاهيمها ضمن مجتمعاتها، بل البحث عن تجذير مفاهيمها واستنباتها في قناعات شعوب الدول الاخرى. لذلك تحاول الدول الاقليمية الفاعلة في الشرق الاوسط استنبات رؤيتها لما ينبغي ان تكون عليه المنطقة في البيئة الاستراتيجية الاقليمية بهدف تعظيم أمنها، وتحقيق مصالحها بوساطة توظيف عمليات الاشتغال للأدوات المرتبطة بها.

مكانة الشرق الاوسط الجيوستراتيجية في فكر القوتين يعتمد على تعاظم أو تراجع مرتكزات القوة لكليهما، والبيئة الاستراتيجية المتغيرة لفواعل ونطاق الفعل. من هنا تعمل تركيا وايران على تغيير المنظومة القيمية في الشرق الاوسط، وتغيير البيئة الاقليمية بالشكل الذي يضمن لها الوجود الفاعل فيها، ولكن ماهي

درجة التماثل واللاتماثل في الفكر الاستراتيجي لكلا الدولتين تجاه الشرق الاوسط؟، من هنا فان البحث يحاول تلمس دلالات المقارنة بينهما.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في ما ياتي:

1- محاولة استكشاف معطيات المقارنة بين الفكر الاستراتيجي التركي والايراني تجاه الشرق الاوسط والاقتراب من فهم المدركات الفكرية الدافعة باتجاه توظيف أداة دون أخرى في الاداء الاستراتيجي في البيئة الاستراتيجية الاقليمية.

2- تحديد الصيرورة التاريخية لتفاعلات الدولتين، والاطر العامة للفكر الاستراتيجي الايراني والتركي قبل التغيير السياسي في العالم العربي.

3- تحديد مرتكزات الثبات والتغيير فيهما بعد التغيير، وتوضيح مقارنة شاملة للمرتكزات العامة التي يستند عليها الفكر الاستراتيجي الايراني والتركي في العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين، ومقارنة مآلات التوظيف الاستراتيجي للأدوات المتاحة.

إشكالية البحث: رغم ان الايديولوجيا تؤدي دوراً مهماً في الاداء الاستراتيجي لإيران وتركيا، لكن هنالك حقيقة أُخرى وهي انهما ينطلقان من مصالحها في تعاملها مع البيئة الاستراتيجية في منطقة الشرق الاوسط. وانطلاقا من إشكالية البحث، تتبلور الاسئلة البحثية الآتية: ما هو اثر البعد التاريخي في تشكل الفكر الاستراتيجي التركي والايراني؟، ما هي المرتكزات العامة للفكر الاستراتيجي التركي؟، ما هي المرتكزات العامة للفكر الاستراتيجي الايراني؟، ما هي مقاربات المقارنة بين الفكر الاستراتيجي التركي والايراني؟. ما هو انعكاس الفكر الاستراتيجي الايراني والتركي على الاداء الاستراتيجي والوظيفي لكلا الدولتين.

فرضية البحث: تكمن فرضية الورقة البحثية في انه ورغم وجود تشابه في مرتكزات الفكر الاستراتيجي للدولتين، الا ان مرتكزات الاختلاف اكبر على مستوى الفكر والادوات التي يتم توظيفها لتشكيل وصيرورة البيئة الاستراتيجية للشرق الاوسط. اذ ان لكل من أيران وتركيا دور في تشكل وصيرورة الشرق الاوسط في القرن الواحد والعشرين، ولكن الفكر الاستراتيجي الحاكم لهذا الدور مُختلف، فضلاً عن اختلاف الادوات التي يتم توظيفها، قوة صلبة(Hard Power)، وقوة ناعمة(Soft Power)، وقوة ذكية(Smart Power).

منهج البحث: استناداً الى الفرضية والاشكالية التي وضعت في اطار البحث، وبهدف مناقشة الظاهرة موضوع البحث والوصول الى النتائج الموضوعية تم استخدام عدة مناهج وهي: والمنهج الوصفي، ومنهج التحليل النظمي، والمنهج المقارن، مع الاهتمام بتحقيق التوافق والتكامل والانسجام بين هذه المناهج قدر الامكان.

هيكلية البحث: لقد تم تقسيم تركيبية الدراسة الى ثلاثة مباحث، علاوة على المقدمة والخاتمة، يتناول المبحث الاول: مقاربات تشكل الفكر الاستراتيجي للقوى الاقليمية، اذ تم تقسيمه على مطلبين: درس الاول الفكر الاستراتيجي للفواعل الدولية الاقليمية، بينما تناول المطلب الثاني الصيرورة التاريخية للفكر الاستراتيجي التركي والايراني. بينما تناول المبحث الثاني: المرتكزات العامة في الفكر الاستراتيجي الايراني والتركي، ويتوزع على مطلبين، تناول المطلب الاول المرتكزات العامة للفكر الاستراتيجي التركي، ودرس الثاني المرتكزات العامة للفكر الاستراتيجي الايراني. واخيرا حاول المبحث الثالث سبر غور التماثل واللاتماثل في الاستراتيجية التركية والايرانية، اذ تم تقسيمة على مطلبين، تناول الاول التماثل واللاتماثل في الفكر الاستراتيجي التركي والايراني، والثاني حاول تجذير التماثل واللاتماثل في الاداء الاستراتيجي الوظيفي التركي والايراني.

المبحث الاول

مقاربات تشكل الفكر الاستراتيجي للقوى الاقليمية

الفكر الاستراتيجي يتجذر في عقول الافراد الذين يشكلون المجتمع، فالفكر هو أساس التفاعل مع الاخر، ويؤدي البعد الزمني والصيرورة التاريخية دوراً مهما في تشكل المقتربات الفكرية الشاملة لتوجهات الدولة على المستوى الداخلي، وعلى المستوى الخارجي. تؤدي البيئة الاقليمية الاستراتيجية التي تجري فيها عملية التفاعل دوراً مهما في تحديد ملامح الاداء الاستراتيجي الوظيفي للقوى الاقليمية التي تمارس أو تتطلع لممارسة الفعل الاستراتيجي. من هنا فقد تألف هذا المبحث من ركيزتين: اولهما: الفكر الاستراتيجي للفواعل الدولية الاقليمية، وثانيهما: الصيرورة التاريخية للفكر الاستراتيجي الايراني والتركي، بوصفهما مجال مقارنة الدراسة البحثية.

المطلب الاول

الفكر الاستراتيجي للفواعل الدولية الاقليمية

يعبر الفكر الاستراتيجي الاقليمي عن مجموعة متراكمة من التجارب التاريخية عبر مدد زمنية مختلفة والتطلع التاريخي نحو الزعامة الاقليمية، والادراك الشامل لأهمية المنطقة الاقليمية التي تتحرك فيها سياساتها، والاستكشاف المسبق للتهديدات القادمة من البيئة الاستراتيجية الاقليمية، والعمل على صياغة فكر استراتيجي اقليمي يتناسب مع القدرات التي تملكها الفواعل الاقليمية بما يضمن المؤامة بين الاهداف المتبناة والوسائل المتاحة.

تحاول الدول الاقليمية ذات التطلع التاريخي نحو الزعامة الاقليمية استنبات فكرها الاستراتيجي في البيئة الاستراتيجية الاقليمية بالشكل الذي يضمن تحقيق مصالحها. وتكتسب رؤيتها الاستراتيجية طابع التعاون أو التنافس أو الصراع طبقاً لوجود أو عدم وجود القوى الاقليمية الاخرى ذات التطلع التاريخي نحو الزعامة الاقليمية، والتي لا تتماثل مع فكرها.

يحتاج تشييد البيئة الاقليمية الاستراتيجية الى قرار سياسي في الانغماس في الشؤون الاقليمية. وتؤدي الايديولوجيا دوراً مهماً ولكن ليس كلياً في صياغة الرؤية الاستراتيجية للدولة الاقليمية، والتي تستند بدورها الى الفكر الاستراتيجي لها.

يُشكل التباين في امكانيات وقدرات الدول الاقليمية جوهر التفاعل بين القوى الاقليمية الفاعلة في البيئة الاستراتيجية الاقليمية. وقد تمتلك الدول الاقليمية مجموعة من القدرات ولكنها لا توظفها نتيجة عدم توافر الارادة السياسية للقيام بالفعل المطلوب، أو قد لا ترغب بذلك نتيجة ادراكها عدم توافر البيئة الاستراتيجية الاقليمية المرغوب بها، فتعمل على تأجيل فعلها الاستراتيجي بانتظار الفرصة المناسبة.

كما تؤدي الادارة الفاعلة للقدرات والموارد رغم محدوديتها الى تعظيم فاعليها. ويعتمد ذلك على صياغة الفكر الاستراتيجي بالشكل الذي يتناسب مع قدرات الدولة. اذ ان صياغة فكر استراتيجي ذو أهداف واسعة تتخطى قدرة الدولة على الايفاء بمتطلبات تحقيقها يقود الى محدودية التأثير في عملية تحقيق الاهداف المتبناة. وبالمقابل صياغة فكر استراتيجي ذو أهداف محدودة مع وجود قدرات هائلة يقود الى وجود نوع من عدم التوظيف العقلاني المحسوب بين ما موجود لدى الدولة من قدرات وصياغة تطلعاتها نحو ممارسة دور فاعل في البيئة الاستراتيجية الاقليمية، لا بل يؤدي الى تعاظم فاعلية دول اخرى في البيئة الاستراتيجية ذاتها.

يعكس الفكر الاستراتيجي أنماط تفكير الجماعات البشرية الموجودة في الدولة التي تكونت وترسخت في مدركات الشعب عبر مدة زمنية طويلة. فاذا كانت تلك الدولة عملت وتعمل على ترسيخ الايديولوجيات الدينية فان ذلك يترك اثره في صياغة فكرها الاستراتيجي، وبالمقابل اذا كانت الدولة تعمل على ترسيخ البراغماتية فان ذلك يمارس تاثيراً في صياغة رؤيتها الاستراتيجية.

الاداء الاستراتيجي الوظيفي للدولة الاقليمية يرتكز على فكرها الاستراتيجي ومدى ادراكها لطبيعة البيئة الاستراتيجية الاقليمية، ومدى توافر الفرص والكوابح التي تُشكل اعاقة في سبيل تنفيذ ما استقر في منطق تفكيرها من رؤية استراتيجية. بمعنى ان الامر لا يتعلق فقط بطريقة ادراكها لذاتها، بل ادراكها للقوى الاقليمية الاخرى الفاعلة في البيئة نفسها.

تعد تركيا وايران قوى اقليمية فاعلة في منطقة الشرق الاوسط، ولكل دوله قدراتها وامكانياتها وفكرها. وتتضح اهمية الافكار ومكانتها لدى كل من ايران[1] وتركيا بمدى تبني الشعوب في البيئة الاقليمية لها، ومحاولة تعميمها في المجتمعات الاخرى بوصفها قيمة عليا تسعى الى تحقيقها وانجاز الغاية من وجودها كدولة تتبنى هذا النهج الفكري دون سواه.

بالمقابل لم تعد الدول الاقليمية التي تتبنى نسقا فكرياً معينا سيما ايران وتركيا تكتفي بعملية ترسيخ مفاهيمها ونسقها الفكري في مجتمعاتها، وانما البحث عن اكبر عدد من المجتمعات لجذبها نحو مفاهيمها. اذ تحاول الفواعل الاقليمية استنبات مفاهيمها في البيئة الاقليمية للشرق الاوسط بهدف ترسيخ مفاهيمها الايديولوجية واتباع اسلوبها في الحياة من قبل الشعوب الاخرى، لا بل العمل على ربط عملية ترسيخ قيمها الايديولوجية بأمنها، والعمل على بناء منظومة قيمية شاملة ترتكز على الوجود القيمي في الدول التي ترغب بها وتشييد البيئة المجتمعية في دول الشرق اوسطية بما يضمن تحقيق مصالحا بعيدة المدى.

---

[1]– مجيد محمدي، اتجاهات الفكر الديني المعاصر في ايران، ترجمة ص حسين،(بيروت: الشبكة العربية للابحاث والنشر، 2010)، ص ص 9-15.

الايغال في المدد الزمنية السابقة لتاريخ الشعوب يؤكد على حقيقة مفادها هي تفاعل الايديولوجيات بشكل تعاوني أو تنافسي، أو تصارعي. ورغم وجود ايديولوجيات عالمية فان هنالك ايضاً أيديولوجيات عالمية ولكنها ذات اطر اقليمية، والايديولوجيات العالمية ذات القدرات العالمية حاولت تحجيم الايدولوجيات العالمية ذات القدرات الاقليمية.

من هنا فان الجوانب العسكرية المتكاملة مع صراع الارادات ذات الافكار الليبرالية والشيوعية حجمت من تأثير الايديولوجيات التي تمثلها تركيا وايران خلال مدة الحرب الباردة. الا ان تراجع المنظومة الفكرية الشيوعية وتقدم المنظومة الفكرية الليبرالية نتيجة تبنيها من الدول الغربية وفي مقدمتها الدولة العظمى الوحيدة في العالم ومحاولتها تفكيك منطقة الشرق الاوسط سيما تغيير الانظمة في افغانستان والعراق وما ترتب على ذلك من فراغ في البيئة الاستراتيجية الاقليمية وتعاظم التحديات بجوانبها كافة قاد ذلك الى محاولة تركيا وايران إعادة صياغة فكرها الاستراتيجي بالشكل الذي يضمن لها ممارسة دور أكبر في الشرق الاوسط.

لم يكن الشرق الاوسط بعيداً عن التحولات التي شهدتها العلاقات الدولية، سيما في تعاظم العامل الثقافي الحضاري في التفاعلات الاقليمية بين القوى الاقليمية الفاعلة، اذ عملت تركيا وايران على توظيف البعد الثقافي الحضاري في التفاعلات الجيوستراتيجية والامنية بعد عام 2003. ومن أهم الدلالات التي تفاعلت فيما بينها، ومع الدول الاخرى هي الفلسفة السياسية الايرانية والفلسفة التركية لما ينبغي أن يكون عليه الجوار القريب ومحاولة توظيف الادوات المتاحة وامتلاك التأثير وديمومته وصياغة المقتربات الامنية وتوازناتها الاقليمية بالشكل الذي يضمن لها التفوق النسبي على غيرها من الدول الاقليمية.

شكلت البيئة الموآتية للقوى الاقليمية المتمثلة في التغيير السياسي في العالم العربي وظهور وصيرورة تنظيم "داعش" بعد عام2014، حافزاً لتركيا وايران لكي تفعل ادائهما الاستراتيجي في البيئة الاستراتيجية الاقليمية. لم تعمل القوى الدولية على توظيف متغيرات القرن الواحد والعشرين في تغذية الشعوب فقط، بل عملت القوى الاقليمية سيما تركيا وايران على توظيف التكنومعلوماتية بوصفها المتحكم في متغيرات القرن الواحد والعشرين. وبدأت تقدم افكارها وانموذجها في الحياة باستخدام الوسائل التي تتخذ من الايديولوجيا جوهراً لها بهدف تحقيق المصلحة التي تسمو على أي أعتبارات اخرى للدولة.

حاولت تركيا وايران ملء الفراغ الذي بدأ بعد تراجع داعش واعادة صياغة التوازنات الاقليمية في منطقة الشرق الاوسط وبناء نفوذهما في المنطقة التي تعتقد انه لا يمكن ان يكون لها تأثير مستقبلي دونها. لكل دولة من هاتين الدولتين صيرورة تاريخية للفكر الاستراتيجي المتحكم في الاداء الاستراتيجي لهما تجاه منطقة الشرق الاوسط. ولكن اين يكمن التماثل واللاتماثل بينهما وما هي مرتكزات المقارنة؟.

المطلب الثاني

الصيرورة التاريخية للفكر الاستراتيجي الايراني والتركي

كانت ولما تزل منطقة الشرق الاوسط موطن للازمات وصراع الارادات الاقليمية والدولية، وكل دولة تنمو رقعتها ويتعاظم نفوذها تحاول ان تستنبت افكارها وتغيير انماط تفكير الشعوب والدول المشكلة له. كما كانت مكمّن للتفاعلات واستغلال الثروات سواء كانت بصورة مباشرة أم بواسطة الوكلاء أم التواجد المباشر وادارة مقدرات هذه المنطقة بالشكل الذي يعود بالنفع عليها.

شهدت منطقة الشرق الاوسط العديد من المدد الزمنية، وحاولت القوى الفاعلة على مر الازمان استنبات منظومتها القيمية فيها وتحقيق الافضلية على غيرها ممن سبقها. ونتيجة الغنى المادي والمعنوي لمنطقة الشرق الاوسط فقد دفعت الكتل الحضارية ممثلة بالدول الاقليمية الى محاولة تفكيك الركائز الثابتة لدى الدول العربية بوصفها تقع في قلب منطقة الشرق الاوسط، وتعدها امتداد جيوستراتيجي لتوطيد نفوذها الدائم في البيئة الاستراتيجية الاقليمية التي تتحرك سياستها فيه.

الايغال في التأريخ يؤكد على حقيقة مفادها ان منطقة الشرق الاوسط وقلبها العالم العربي خضعت للإرادة العثمانية لمدة اربعة قرون، واسهم ذلك في افقار الشعوب العربية، لا بل تحولت الى منطقة لجمع الضرائب والاموال بهدف تنمية وتعظيم قدرات المركز العثماني على حساب الاطراف الممثلة لمناطق وولايات الشرق الاوسط.

وبالمقابل وخلال مدة طويلة من الزمن تصارعت الارادة العثمانية ومنظومتها القيمية مع الارادة القومية الفارسية بهدف الحصول على اكبر قدر من الايغال الجيوستراتيجي في البيئة الاستراتيجية الاقليمية في منطقة الشرق الاوسط[1].

الحقيقة التي تجذرت خلال التفاعل بين الارادة العثمانية والارادة الفارسية بان معظم عمليات التفاعل والصراع بينهما كانت تجري على الاراضي العربية، وتحملت تكلفتها المادية والمعنوية الشعوب العربية.

التقدم العلمي والتكنولوجي ومتغيرات الثورة الصناعية، وتراجع فاعلية الحضور العثماني قاد الغرب الى تفعيل دور القوى الاوروبية في منطقة الشرق الاوسط، لا بل بدأت المشاريع الغربية سيما بعد تقاسم السيطرة على المنطقة على توظيف المقدرات المتوافرة فيها لصالحها، وقادت الى افقار المنطقة من خلال ممارسة مجموعة من السياسات والاليات التي تعتمد على تعظيم المركز الاوروبي على حساب الاطراف مرة اخرى.

ومع انبلاج فجر القرن العشرين، وتفكك الدولة العثمانية خضعت منطقة الشرق الاوسط للدول الغربية سيما بريطانيا وفرنسا وايطاليا. وكل دولة من هذه الدول كانت تعتمد في سيطرتها على توجه معين، اذ

---

[1]– لمزيد من التفاصيل ينظر: امينة مصطفى دلة، الجيوبوليتكية التركية: الحتمية الجغرافية وسؤال الهوية، (القاهرة: المعهد المصري للدراسات، 2012)، ص 2.

اعتمدت بريطانيا في هيمنتها على توطيد المصالح والثروات، بينما كانت تعتمد فرنسا على البعد القيمي الثقافي وتغيير هوية الشعوب الثقافية ومن ثم السيطرة عليها سيما من خلال استنبات اللغة والثقافة في كل جوانب الحياة في الجزائر والمغرب.

وبعد تراجعهما وانكفائهما على ذاتيهما(تركيا وايران) نتيجة تعاظم القوى الغربية وامتداداتها، لا بل السيطرة المباشرة على كلا الدولتين لم يكن الفكر الاستراتيجي للدولتين يتسم بصفة المبادرة وانما التركيز على بناء الذات أكثر من التفكير في العمل على إعادة صياغة الفعل المبادر.

لم تكن ارادة شعوب الشرق الاوسط وجوهرها الشعوب العربية دون تأثير، اذ عملت على الحد من تأثيرات القوى الاقليمية والدولية الى حد ما، وكانت تتمتع بالديناميكية في محاولة اثبات ذاتها أمام الصراع القيمي المتمثل في المقاربات الفكرية الليبرالية والشيوعية والفارسية والقومية التركية. واذا كانت نسبة الحد من تأثير القوى الاقليمية مرتفع، فانه محدود بالنسبة للقوى الدولية.

لم يكن تفكك الاتحاد السوفيتي دون تأثير وتغيير في البيئة الاستراتيجية الشرق اوسطية سواء كان ذلك ذاتياً، أم موضوعياً سيما فيما يتعلق بالقوى الاقليمية أو الدولية المؤثرة في هذه المنطقة. فاذا كان هنالك تجاذب فكري بين ثلاثة تيارات فكرية في الشرق الاوسط سيما الشيوعية والليبرالية والقومية خلال الحرب الباردة، فان المقاربات الفكرية الليبرالية وبفعل امتلاكها للأدوات الفاعلة عملت بزعامة العالم الغربي على تقويض أي بعد قيمي متعارض معها سواء كان اقليمياً أم دولياً.

ومع انبلاج فجر القرن الواحد والعشرين، وتعاظم القوى الاقليمية ذات التطلع التاريخي نحو الزعامة الاقليمية، عملت تركيا وايران نتيجة تعظم قدراتهما وامكانياتهما مقارنة مع دول الشرق الاوسط على اجراء تعديل على الفكر الاستراتيجي بالشكل الذي يجعل من هذه الدول توغل في البيئة الاستراتيجية الاقليمية والاستفادة من الفراغ الاستراتيجي المتمثل بعدم وجود قوة اقليمية فاعلة وتحديداً بعد التغيير السياسي في العالم العربي. ونتيجة تعظم السلول الايراني والتركي في الشرق الاوسط بعد التغيير السياسي في العالم العربي، بنا حاجة الى توضيح المرتكزات العامة للفكر الاستراتيجي لكلا الدولتين، وهو ما يتم سبر غوره في المبحث القادم.

المبحث الثاني

المرتكزات العامة في الفكر الاستراتيجي التركي والايراني

الافكار قد تتماثل مع غيرها، وقد يتجسد اللاتماثل عند مقارنتها بالأفكار الأخرى. قد يكون هنالك تماثل في الفكر الاستراتيجي، الا ان الاداء الاستراتيجي الوظيفي يأخذ منحى اخر، كذلك الامر مع التماثل واللاتماثل في الفكر الاستراتيجي التركي والايراني في البيئة الاستراتيجية الاقليمية. ولا يمكن تحديد دلالات ومقاربات التماثل واللاتماثل دون سبر غور المرتكزات العامة في الفكر الاستراتيجي لكلا الدولتين.

المطلب الاول

المرتكزات العامة للفكر الاستراتيجي التركي

يتطلب تبيان المرتكزات العامة لأي فكر أستراتيجي لدولة ما الايغال في متغيرات التشكل التاريخي للمدد الزمنية التي شهدها الافراد والمجتمع والدولة فيها، فضلاً عن مدى صعودها وتراجعها في سلم القوى الاقليمية والدولية.

كما لا يمكن تلمس دلالات هذه المرتكزات لهذه الدولة أو تلك دون تتبع مسار الاداء الاستراتيجي الوظيفي لها في البيئة الاستراتيجية الاقليمية أو الدولية، لا بل عمل المقارنات الواقعية المرتكزة الى الرؤية الشاملة للمدة الزمنية والمتغيرات المشكلة لما كان وما يجري الان من عمليات تفاعل سابقة ولاحقة للمرتكزات العامة للفكر الاستراتيجي لدولة ما وتفعيل عمليات المقارنة مع ما يماثلها من الدول أو يتباين معها من ناحية التشكل والصيرورة.

الايغال في عملية تشكل وبلورة التفكير الاستراتيجي والتفاعل السياسي التركي مع البيئة الاقليمية لتركيا يقود الى استخلاص مجموعة من المرتكزات العامة التي يمكن ان يوصف بها الفكر الاستراتيجي التركي في القرن الواحد والعشرين.

تشكل الهوية الحضارية_ الدينية_ الثقافية احدى المرتكزات العامة الهامة في الفكر الاستراتيجي التركي. اذ يتمثل ذلك في ثلاثة ابعاد متفاعلة مع بعضها "اولهما: تعمل تركيا القرن الواحد والعشرين على اعادة كينونتها مع الحضارة الاسلامية وتفعيل ترابطها مع ارث الامبراطورية العثمانية. ثانيهما: اعادة العظمة والارتقاء العثماني الذي يرتكز على الاقتدار في السلوك السياسي الخارجي، وتقويض مرتكزات التراجع سيما عند التفاعل مع الاطراف الاخرى في البيئة الدولية. ثالثهما: ترسيخ علاقات التفاعل المستمر مع العالم

الاسلامي وتحديداً دول الشرق الاوسط من ناحية، وممارسة الانفتاح في التفاعل مع الدول الغربية وتحديداً دول الاتحاد الاوربي بوصفة منظمة تعبر عن جوهر المنظومة القيمية الغربية التي طالما اجهدت تركيا في العمل على الانضمام اليها"[1].

ويمكن تكثيف ما ورد من أفكار تعكس حالة التفاعل الحضاري مع الغرب والشرق فيما ثبته "أحمد داؤد اوغلو" من مقتربات فكرية. اذ يرى "من الصعوبة بمكان ان تتكفئ تركيا على ذاتها، فهي ترتكز تاريخيا على الارث الحضاري العثماني. كما انها تعد واحدة من ثمان دول استهلت القرن العشرين وهي تحتوي على بُنى سياسية لإمبراطوريه تتميز بكونها موطن للكثير من المتغيرات الجيوسياسية، والجيوثقافية التي تربط الامتداد الثقافي للسكان بثقافة شعب ما، والجيو اقتصادية بوصفها كل متكامل متفاعل، وكل تفكك للمتغيرات السابقة الذكر سيما للوحدات الكبرى في المجتمع الدولي الى وحدات دولية صغرى يضع الدولة التي كانت تشغل مكانة مركزية أمام ضرورة الايفاء بالمسؤوليات التاريخية، فقد شهدت المملكة المتحدة وروسيا الاتحادية وفرنسا والصين واليابان وغيرها ظروف وصعوبات متماثلة، وأجهدت بهدف تكوين فواعل سياسية حضارية بمقاربات فكرية جديدة تتلائم مع الواقع الدولي الجديد"[2].

في ضوء ما تقدم، تقدم تركيا القرن الواحد والعشرين المقاربة الفكرية الحضارية الاتية: اذا كانت المملكة المتحدة تملك الحق بإعادة تفاعلاتها مع الدول التي كانت خاضعة لها في السابق لمدة طويلة من الزمن سيما دول الكومونولث التي تمثل مجموعة الدول التي كانت خاضعة للسيطرة البريطانية، وكذلك فرنسا التي تقدم ذاتها على ان من حقها اعادة تفاعلاتها السياسية والثقافية مع دول رابطة الدول الفرنكوفونية التي تحتوى على كل الدول التي خضعت للسيطرة الفرنسية، علاوة على روسيا الاتحادية التي تعد فعلها الاستراتيجي المرتكز على اعادة ترابطاتها مع دول الاتحاد السوفيتي سيما دول اوروبا الشرقية واسيا الوسطى التي انفصلت عنه عام 1991 شرعياً، واذا ما امتلكت اليابان الحق في اعادة تشييد علاقاتها مع دول الباسفيك، فان تركيا القرن الواحد والعشرين لها الحق بإعادة بناء علاقاتها مع الدول التي انفصلت عن الإمبراطورية العثمانية بعد اربعة قرون من التحكم بها من خلال الاستناد الى الارث الحضاري والتقارب الثقافي مع البيئة الاقليمية لدولها.

---

[1]– مروان عوني كامل، الاستراتيجية التركية الجديدة في المنطقة العربية، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، (المجلد3، السنة3، العدد12)، تكريت،2011، ص216.

[2]– أحمد داود اوغلو، العمق الإستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة محمد جابر وطارق عبد الجليل،(بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط2، 2011)، ص ص594–595.

وتشكل البراغماتية ركيزة اخرى هامة اخرى من المرتكزات العامة التي يتصف بها الفكر الاستراتيجي التركي. وبما ان الدول تنطلق من مصالحا في تعاملها مع الدول الاخرى، ورغم ان الايديولوجية تشغل مكانة مهمة في الفكر الاستراتيجي للدول، فان البراغماتية تشغل حيزاً كبيراً في الفكر الاستراتيجي التركي، فهي تعمل على تركيز جلّ جهدها على تحقيق الاهداف باقل كلفة ممكنة، واعظم منفعة رغم النسبة الكبيرة التي تشغلها الايديولوجية والرؤية الحضارية والدينية.

تجهد تركيا في عملية الاستكشاف الدائم للبيئة الاقليمية للشرق الاوسط، والبيئة الاستراتيجية لأوروبا، والعمل وفق قواعد ومعطيات كل بيئة وبما تحتويه من متغيرات واسس قيمية، اذ تتعامل مع دول الجوار الجنوبي القريب على انها تلك الدولة ذات السمات والخصائص الاسلامية، وتتفاعل معها على انها جزء متكامل من هذه المنطقة التي تتميز بمنظومة قيمية محددة وتشترك معها في هذه القيم والمبادئ الدينية، والهدف من وراء ذلك غرس مفاهيمها الايديولوجية وجعلها دولة انموذج ناجح يكون موضع استلهام من قبل الدول الاخرى في الادارة والحكم سيما بلدان الشرق الاوسط.

بالمقابل تعمل جاهدة في الوقت نفسه على تقديم الدولة التركية للغرب بوصفها دولة علمانية تلتزم بالمعايير والشروط الواجب توافرها في اي دولة تطمح في الانضمام الى المأسسة الغربية وتتبنى المناهج الغربية في ارساء مرتكزات الدولة الحديثة. لا بل تعمل تركيا على الانضمام الى المؤسسات ذات البعد القيمي الغربي سيما الاتحاد الاوروبي الذي يعد منظمة اقليمية غير متماثلة معها من حيث التكوين الحضاري، ورغم طول المدة الزمنية التي عملت فيها تركيا على تنفيذ مجموعة من الشروط الواجب توافرها في اي دولة تطمح في الانتماء الى الاتحاد الاوروبي، الا انها لم تحصل على العضوية الكاملة لحد الان، ومع ذلك تستمر في ارساء دعائم الانضمام في القادم من الزمن.

وتتجذر عمليات المبادرة بالفعل في الفكر الاستراتيجي التركي مع انبلاج فجر القرن الواحد والعشرين بوصفها من مرتكزات الفكر الاستراتيجي، ويتناسب طردياً مع تعاظم القدرات المادية والمعنوية وتوافر الادارة الفاعلة في عملية توظيفها. بمعنى ان فاعلية الفعل الاستراتيجي المبادر تتحدد في مدى قدرة الدولة على تحقيق التكامل والتناسق بين الامكانيات المتاحة والاهداف الاستراتيجية التي تم وضعها. لذلك فان الفكر الاستراتيجي التركي ينمو ويتطور نتيجة التغّير في القدرات، وقد اضفى ذلك، لا بل انتج المبادرة بالفعل في الفكر الاستراتيجي التركي بالشكل الذي يجسد عملية التغيير في المؤامة بين القدرات وعملية توظيفها.

ومن أهم المتغيرات التي تعكس حجم التحول في مسار الفكر الاستراتيجي بوصفه يتسم بالمبادرة هي الانفاق العسكري للدولة، فهو يحدد حجم التحول في التوجهات العامة داخلياً وخارجياً. اذ "شهد الانفاق

العسكري التركي تعاظماً كبيراً"،[1] وهو الامر الذي جسدّ التغيير في عملية تفعيل العمل التركي المبادر في البيئة الاقليمية للشرق الاوسط سيما بعد التغيير السياسي في دول الشرق الاوسط. ليس هذا فحسب، بل تركيا عضو في حلف شمال الاطلسي الذي يمثل اقوى تحالف عسكري في العالم، ويضم في عضويته اقوى دول العالم عسكرياً سيما الولايات المتحدة الامريكية واغلب دول اوروبا.

كما تشغل تركيا "المرتبة السابعة عشر عالمياً من حيث عدد السكان، ويشغل الشباب فيها النسبة الاكبر، وتتمتع بديناميكية شابة مقارنة بشعوب الدول الاخرى التي تبلغ فيها نسبة كبار السن مبلغاً كبيرا مما يقود التي تراجع فاعليتها والاعتماد على المهاجرين الشباب من القارات الاخرى، وتمثل اوروبا من اوضح الامثلة على ذلك. وبذلك يشكل الثقل الكبير لعدد سكانها ونوعيتهم مركز ثقل مع دول البيئة الاقليمية سيما ايران والدول العربية ودول الاتحاد الاوروبي، وبما يوفر البيئة الموآتية لممارسة التأثير في ثلاثة جهات. كما ويجثم فيها موارد نوعية سيما المياه والغذاء، التي تتوقع الدراسات المستقبلية ان يكونا سبباً من الاسباب الرئيسة في تشكل الصراعات الدولية المستقبلية بين الدول التي تحاول التحكم فيها"[2].

كما قاد تجذير الصورة النمطية عن العرب والمسلمين سيما بعد احداث الحادي عشر من ايلول الى "تدفق رأس المال العربي وتحديداً الخليجي، والاستثمارات الى تركيا"[3]، مما ادى الى تعزيز العلاقات بين تركيا والبيئة الاستراتيجية الاقليمية للشرق الاوسط، اذ قدرت صحيفة الايكونومست زيادة قيمة الصادرات التركية الى الشرق الاوسط(700%) بين عامي (2001_2008)" [4]. وزيادة على ذلك، "قادت زيادة العوائد النفطية في الخليج العربي الى زيادة الاستثمارات في تركيا التي تكتسب أهمية خاصة بفعل توافر البنية التحتية الملائمة للاستثمارات وتعظيم الارباح"[5].

ونتيجة المحددات التي "تراكمت أمام عملية تكامل تركيا مع الاتحاد الاوروبي ثقافياً واقتصادياً وسياسياً وحضارياً، عملت تركيا على صياغة التغيير المرن في فكرها الاستراتيجي، وجعله يتسم بالمبادرة بالفعل،

---

[1]-The SIPRI Military Expenditure Databasekk,Stockholm International Peace Research Institute 2011: http://www.sipri.org/.

[2] – المركز العربي للدراسات السياسية والاستراتيجية، الاهمية الجغرافية لتركيا، عبر شبكة الملومات الدولية:
http://acpss.net/site/index.php?go=news&more=94

[3] - مكتب الاحصاء التركي، عبر شبكة المعلومات الدولية: http://www.invest.gov.tr/ar-SA

[4]– أعظم شبلي، توقعات بمستقبل إيجابي للاقتصاد التركي، مجلة آفاق المستقبل،(العدد4، مركز الأمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، أبو ظبي)، 2010، ص79.

[5]– محمود سالم السامرائي، المساومة في السياسة الخارجية التركية، المجلة العربية للعلوم السياسية،(العدد13، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت)، 2007، ص ص97– 98.

وزيادة نسبة التركيز على البيئة الاقليمية الجنوبية لتركيا اكثر من الغربية، وتقدم نفسها بوصفها دوله جيوستراتيجية فاعلة في الاقليم الذي هي جزء منه، لا بل لها عمقاً استراتيجياً"[1].

وبفعل توافر مجموعة من المقومات السابقة الذكر، بالإضافة الى مجموعة اخرى لا مجال لذكرها، شهد الفكر الاستراتيجي التركي تحول نوعي وكمي في مرتكزاته العامة من التركيز على التحديات الداخلية والانكفاء على معالجتها نتيجة تراكمها وتعاظمها لمدة طويلة من الزمن الى المبادرة بالفعل في البيئة الاستراتيجية الاقليمية بفعل تراكم مقومات القوة لديها المادية والمعنوية وتوافر القيادة السياسية التي تملك الارادة والتطلع نحو الزعامة الاقليمية وتفعيل الدور الاقليمي نتيجة توافر البيئة الاقليمية الموآتية نتيجة ضعف هذه البيئة سيما بعد التغييرات التي شهدتها في العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين.

بمعنى ان هنالك تغير داخلي وبيئة داخلية دافعة لهذا الفعل المبادر، فضلا عن التحول النوعي في الفكر الاستراتيجي، وبالمقابل توافر بيئة مستقطبة نتيجة غياب الفاعل الاقليمي العربي. ويمكن استنباط ذلك من المقاربات الفكرية التي قدمها "احمد داؤود اوغلو" في كتابه الموسوم العمق الاستراتيجي. اذ يرى بانه "يتوجب على تركيا القرن الحادي والعشرين أن تنخلع من كونها دولة ظرفية، وان تكتسب وبسرعة وضعيتها كدولة لا تصرف جهودها فقط من أجل حماية استقرارها، بل توظفها لحماية نظامها من خلال الاضطلاع بدور يحمي استقرار ونظم الدول المجاورة لها"[2].

من هنا، قادت عملية التخلي عن الانكفاء المدروس على الذات الى الانغماس المدروس في عملية صياغة البيئة الاستراتيجية الاقليمية للشرق الاوسط وفق ما تهدف اليه تركيا نتيجة توافر البيئة التي لا يتحكم فيها فاعل اقليمي، الى تفعيل دورها بشكل كبير، فالصراع الذي نتج عن التغيير في البيئة المشار اليها جعل تركيا تغادر عملية ردة الفعل التي كانت تتبعها في معالجة التحديات الاقليمية، والعمل على صياغة فعل مبادر يسهم في تحييد مرتكزات البيئة الرافضة للأداء الاستراتيجي التركي ودعم مرتكزات البيئة الداعمة لدورها في البيئة الاستراتيجية الاقليمية للشرق الاوسط.

تجذيراً لما تقدم، اضفت عملية التركيز التركي على المنطقة الجغرافية الجنوبية والموقع الجغرافي الذي تشغله الصفة الاقليمية على الفكر الاستراتيجي التركي. وترتب على ذلك مجموعة من المخرجات التي تركت اثرها في طبيعة حركتها التي تعكس الارث التاريخي. "فالموقع الجغرافي ذو الدلالات المهمة يغذي الدولة

---

[1]– لمزيد من التفاصيل ينظر: أحمد مجدي السكري، العلاقات التركية الأوربية بين اشكاليات مفاوضات الانضمام وآفاق المستقبل، المجلة العربية للعلوم السياسية،(العدد36، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت)، 2012، ص ص94–96.

[2]– أحمد داود اوغلو، مصدر سبق ذكره، ص611.

بعوامل قوة، ويقدم لها غنى في الخيارات المتاحة خلال الاداء الاستراتيجي الوظيفي في البيئة الاستراتيجية"[1].

ويمكن تركيز "المخرجات التي ترتبت على معطيات الموقع الجغرافي لتركيا في انها تعكس تراكمات لهويات ثقافية ومجتمعية متعددة سيما اوروبا من الجهة الغربية، وروسيا الاتحادية من الشمال، وهويات اسيوية من الشرق، وهويات عربية واسلامية من الجنوب، وقد ثبت هذا الموقع الجغرافي دلالة مهمة وذات بعدين من حيث البعد الهوياتي تحاول تركيا توظيفهما في تفاعلاتها الاستراتيجية هما البعد العربي والبعد الاوروبي للفعل الاستراتيجي الاقليمي التركي. ورغم ان تركيا تمثل بلداً ذو هويات اقليمية متعددة، وعدم توافر الامكانية لوصف تركيا اقليميا وربطها بمنطقة واحدة دون سواها، الا ان السمة التاريخية الاقليمية الحضارية تميل الى وصف الفكر الاستراتيجي التركي بالإقليمي بأبعاده المتنوعة سيما وان نسبة عالية من الاداء الاستراتيجي التركي ذات بعد حضاري عثماني"[2]. كل ما تقدم، ونتيجة هذه المعطيات الهيكلية والوظيفية، فقد وسم الفكر الاستراتيجي التركي بالاقليمي، سيما التركيز على البيئة الاقليمية للشرق الاوسط بنسبة كبيرة.

المطلب الثاني

المرتكزات العامة للفكر الاستراتيجي الايراني

بما ان الفكر هو حصيلة التجارب التاريخية والحضارية التي مرّ بها شعب ما، فان الفكر الاستراتيجي الايراني هو نتاج البعد التاريخي والقيمي لما يكمن في ايران، وما شهدته من تفاعلات داخلية وخارجية لمدة طويلة من الزمن. بمعنى هو نتاج الترابط بين المرتكزات المادية والمعنوية عندما تخضع للتوظيف، ليس هذا فحسب، بل شكلت الاحداث والوقائع التاريخية جزءاً مهماً من مقتربات الفكر الاستراتيجي الايراني سيما عمليات التفاعل مع البيئة الاقليمية للشرق الاوسط.

ورغم ان ايران دولة، وتنطبق عليها اوصاف الدولة الوطنية في العصر الحديث، الا انها تحتوي على مجموعة من المقاربات الفكرية التي تجعلها تتجاوز حدود الدولة ذات المرتكزات التقليدية للدولة الوطنية، وبالمقابل هنالك نوع من التكامل والجمع بين المتناقضات التي يستدل عليها من خلال الاداء الاستراتيجي الوظيفي الايراني الموجه لمعالجة القضايا الاقليمية والدولية.

---

[1] – محمد عبد الغني سعودي، الجغرافية والمشكلات الدولية،(بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1971)، ص227.

[2] – ينظر: عبير العندور، بدائل التوجه السياسي التركي المعاصر، المجلة العربية للعلوم السياسية،(العدد33، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2012)، ص ص116–117.

الايغال التاريخي والزمني في عملية صيرورة الفكر الاستراتيجي الايراني تؤكد على انه يرتكز على الايديولوجية الدينية، لا بل ان نسبة كبيرة من السلوكيات والمواقف التي تتخذها ايران مؤطرة باطار ديني، فهي تقدم ذاتها على انها ينبوع للفكر الاسلامي الشيعي.

وتعمل من خلال مجموعة من الوسائل والاليات سيما المؤتمرات والندوات والمنتديات العالمية ومراكز التفكير على تجذير واستنبات حقيقة مفادها: ايران هي مركز الفكر الاسلامي الشيعي في العالم، اما غير ذلك فهي فروع ثانوية ترتبط بالمركز الذي يمثل ينبوع واشعاع فكري وحضاري تمثله دولة هي ايران.

وبما ان الايديولوجية التي تستند اليها ايران هي ايديولوجية دينية، فانها تحاول توظيف المقاربات الفكرية والمقومات المادية لنشر المقتربات التي تؤمن بها سيما فكرة ولاية الفقيه بعد الثورة الايرانية عام 1979[1]، ليس هذا فحسب، بل العمل على أدلجة السلوك السياسي الذي تؤديه ايران تجاه الدول المجاورة رغم المعارضة التي تواجهها من بعض المدارس الفكرية الدينية التي لا تؤمن بفكرة ولاية الفقيه سيما المرجعيات الدينية الاخرى في الفكر الشيعي.

ورغم اشغال الايديولوجيا الجانب الاكبر من مرتكزات الفكر الاستراتيجي الايراني الا ان البراغماتية تعمل على تحجيم البعد الايديولوجي اذا ما خضعتا لاختبار الاولويات الاستراتيجية. اذ رسخت الممارسة العملية والواقعية للأداء الاستراتيجي الايراني في البيئة الاقليمية والدولية بان الفكر الاستراتيجي الايراني يرتكز في جزء كبير منه على المنهج البراغماتي رغم الاطار الايديولوجي الذي يتحكم به، ويعمل على تسييره.

فالمساومة والتسوية التي تمارسها ايران في عملية توظيف القدرات والامكانيات التي تتوافر لها في القرن الواحد والعشرين بهدف تحقيق اهدافها تؤكد مدى تعاظم نسبة توظيف البراغماتية على حساب الايديولوجية[2] سيما في حالة عدم تمكن الايديولوجيا من ضمان القدرة على تحقيق الاهداف المبتغاة في عملية معالجة القضايا الاقليمية والدولية التي تواجهها.

فعلى سبيل الابانة، رغم الشعار الذي يتبناه النظام السياسي الايراني المتمثل في "الموت لامريكا"، كما انه مثبت في مناطق عديدة من الدولة، الا انه وخلال معالجة التحديات والقضايا التي تتعلق بايران، سيما

---

[1]- لمزيد من التفاصيل ينظر: موسى النجفي، موسى فقيه حقاني، التحولات السياسية في ايران: الدين والحداثة ودورها في تشكيل الهوية الوطنية، ترجمة قيس ال قيس،(بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، 2013)، ص ص 291-292.

[2]- لمزيد من التفاصيل ينظر: رجائي سلامة الجرابعة، الاستراتيجية الايرانية تجاه الامن القومي العربي في منطقة الشرق الاوسط:1979-2011، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الاوسط، الاردن، 2012، ص 93.

قضية البرنامج النووي الايراني، تم التفاعل الجدي والمباشر والتواصل مع "الشيطان الاكبر"، وعقد اتفاق يضم معظم الدول الغربية تتخلى ايران بموجبه على تطلعاتها النووية في المجال العسكري نتيجة الاثر الفاعل الذي احدثته العقوبات الغربية الشاملة على ايران بفعل الرفض السابق لعملية التفاوض.

بمعنى، رغم أهمية الايديولوجيا في الفكر الاستراتيجي الايراني بوصفها الاطار الفكري الموجه والمتحكم لأغلب عمليات الاداء الاستراتيجي الايراني، فان البراغماتية في حالات معينة يكون لها الفعل الاكبر في معالجة التحديات والقضايا بشكل يتجاوز الاطار الايديولوجي الذي تؤمن به وتحاول تجذيره.

ومن ناحية اخرى، بدأت الدول تعتمد بشكل كبير على القوة الناعمة مع انبلاج فجر القرن الواحد والعشرين في عملية تحقيق اهدافها بعيدة المدى، لا بل الايغال في استخدامها، وهذا يعتمد على فلسفة الدولة في مدى توظيف الوسائل المدنية أو الوسائل العسكرية في تغيير مدركات البيئة الاستراتيجية نطاق الفعل، ورؤيتها لما ينبغي ان تكون عليه البيئة المراد تشكيلها او اعادة تشكيلها.

تجذيراً لما تقدم من افكار، يعتمد الفكر الاستراتيجي الايراني في جزء كبير منه على ركيزة أخرى هي العسكرتارية، وهذه ترتبط بدورها بالثورية([1]). وما يؤكد ذلك، عملت ايران بعد نجاح ثورتها "الثورة الاسلامية في ايران" على بناء منظومات شبه عسكرية مؤدلجة عقائدياً في البيئة الاقليمية للشرق الاوسط، وربطها بها مادياً ومعنوياً، وتغذيتها بالأفكار والعقائد الايديولوجية ورفدها بالاموال والقدرات اللازمة، لا بل أصبح مبدأ تصدير الثورة من المبادئ الحاكمة في عملية عسكرة الجماعات المؤدلجة ووضع الخطط والبرامج المدنية والعسكرية وتنفيذها في البيئة الاستراتيجية الاقليمية بالشكل الذي تم تحديده مسبقاً.

بمعنى لم تكن عملية العسكرة محددة في النطاق الداخلي، وانما تجاوز ذلك الى البعد الاقليمي، سيما من خلال البنى العسكرية المؤدلجة عقائدياً سرياً وعلنياً، اما من خلال العمل مع الانظمة السياسية التي ترتبط بعلاقات وثيقة مع ايران، أم نتيجة طلب تلك الدول بهدف شرعنة وجودها ونشاطها.

ولم ينتهي هدفها عند صيغة عسكرة الجماعات المجتمعية وتوثيق روابطها فيها، وانما العمل على تشكيل بيئة موآتية لها ليكون لها مكانة سياسية في هيكلية الانظمة السياسية التي تتواجد فيها، وتعظيم دورها ونفوذها في عملية صنع القرار السياسي، لا بل العمل على توجيه السياسات العامة للحكومات بالشكل الذي يضمن ويوطد عملية المحافظة على وجودها. فضلا عن استنبات افكارها، ليس فقط في البنية السياسية لتلك الدول ومأسسة وجودها، وانما الايغال في البنية المجتمعية وتغذية الطرف الذي تعده يتناسب مع توجهاتها ورؤاها المستقبلية.

---

[1]– لمزيد من التفاصيل ينظر: فاطمة الصمادي، التيارات الاسلامية في ايران(بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012)، ص ص 49–58.

تأصيلاً لما تقدم، تؤكد علاقات التفاعل الجيوبوليتيكي بين ايران والبيئة الاقليمية للشرق الاوسط، والارث التاريخي لعمليات التفاعل بين القومية الفارسية والقومية العربية بانه دائما ما حاولت سواء ايران الامبراطورية أم ايران الدولة تحقيق الهيمنة والتوسع على البيئة الاقليمية والعمل على تشكيل وصناعة اطراف تخضع لها اطول مدة ممكنة في علاقات التفاعل الاقليمي، بالمقابل العمل على تقوية مركزها في تراتبية اولويات الفعل الاستراتيجي للقوى الاقليمية الفاعلة في البيئة الاستراتيجية للشرق الاوسط. بمعنى ان سمة التوسع جيوبوليتكياً في الفكر الاستراتيجي الايراني هي نتاج طبيعي لعملية التفاعل بين القومية الفارسية ومبدأ تصدير الثورة، مما قدم رافداً يمزج بين التغذية القومية والرمزية الدينية بهدف بلورة وتكمين التفوق الايراني في الشرق الاوسط.

تراكماً لما تجذر من افكار، لم يعد الانكفاء على الذات ركيزة من ركائز الفكر الاستراتيجي الايراني في القرن الواحد والعشرين، بل اكتسب طابع المبادرة في الحركة الفاعلة التي تحاول تغيير الشرق الاوسط وفق الرؤى التي تؤمن بها، وجعل الصيرورة العملياتية للفكر الاستراتيجي الايراني ذات بعد اقليمي، وهو ما جعله يتصف بصفة الاقليمية.

بمعنى ان الفكر الاستراتيجي الايراني يعتمد في جزء كبير منه على تكثيف الرؤى الاستراتيجية الهادفة الى تغيير انما تفكير شعوب الشرق الاوسط نتيجة الاهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة، وجعل هذه البيئة ضعيفة في مواجهة الفعل القادم من الخارج مما يجعل من السهولة بمكان تحقيق الاهداف المتوسطة والبعيدة المدى لايران.

المبحث الثالث

التماثل واللاتماثل في الاستراتيجية التركية والايرانية

تجذير المقارنة بين متغيرين يحدد مرتكزات التماثل واللاتماثل بينهما، وبما أن الاشياء تتضح من خلال مقارنتها بالأشياء الاخرى، فان الفكر الاستراتيجي التركي يتماثل مع الفكر الاستراتيجي الايراني ببعض المرتكزات، بينما يتجذر اللاتماثل في مرتكزات الاخرى، وكذلك ينعكس على الاداء الاستراتيجي الوظيفي.

المطلب الاول: التماثل واللاتماثل في الفكر الاستراتيجي التركي والايراني

الصيرورة التاريخية للفكر الاستراتيجي، والمدة الزمنية والمراحل التاريخية المرتبطة بأحداث وتفاعلات الصراع، وصعود وتراجع القوى الاقليمية في البيئة الاستراتيجية الاقليمية كانت قادرة على تحديد المرتكزات العامة للفكر الاستراتيجي التركي والايراني. الا ان ذلك لم يكن كافياً لتوضيح مرتكزات المقارنة بينهما. لذلك

تمت الإجابة على التساؤل المركزي للدراسة المتمثل في ما هي مقاربات المقارنة بين الفكر الاستراتيجي التركي والايراني؟.

اولاً: مقاربات التماثل في الفكر الاستراتيجي التركي والايراني

تؤكد عملية استكشاف المرتكزات العامة للفكر الاستراتيجي الايراني بان هنالك مجموعة من مرتكزات التماثل بين الفكر الاستراتيجي الايراني والتركي في البيئة الاقليمية الاستراتيجية للشرق الاوسط ويمكن تكثيفها بما يأتي:

المقاربة الاولى: اقليمية التوجه ونسبة التركيز: تؤكد عملية استكشاف الفكر الاستراتيجي التركي والايراني تماثلهما في نطاق التركيز على منطقة الشرق الاوسط بوصفها تشغل مكانة مهمة في التوسع التدريجي الخارجي لكلا الدولتين. فالاستكشاف التاريخي الشامل يؤكد بان كلا الدولتين حاولتا كلما تعاظمت قوتهما في ترتيب سلم القوى الاقليمية، وتوافر البيئة الذاتية الداخلية الداعمة، وتوافر الحوافز في البيئة الاقليمية والدولية تركيز انشطتهما على الشرق الاوسط بوصفه الاقليم الذي يمثل ركيزة أساسية من ركائز ممارسة الدور الاقليمي للدولتين. بمعنى انه ورغم عدم تماثل القوتين في طموحاتهما الا ان هنالك سمة مماثله للفكر الاستراتيجي لكليهما تتمثل في اقليمية التوجه والتركيز.

المقاربة الثانية: أدلجة الفكر الاستراتيجي للدولتين: توضح عملية الايغال في محركات الفكر الاستراتيجي التركي والايراني، والبحث في الصيرورة التاريخية لكلا الدولتين بان الايدولوجية تحتل مكانة مهمة فكرهما، اذ كلاهما يسعيان الى استنبات الايديولوجية التي يؤمنان بها في البيئة الاستراتيجية الاقليمية ليس فقط داخل الدولة وانما نشرها في المنطقة الاقليمية والدولية، والسعي لتشكيل الاقليم وفق توجهاتهما. ورغم الاختلاف في مضمون الادلجة الا ان المحرك للأداء الاستراتيجي لدولتهما هو الايدولوجية الدينية او القومية.

المقاربة الثالثة: سمو المصلحة على الايديولوجية: المتتبع لدراسات علم السياسة بشكل عام، يجد بان هنالك نسبة كبيرة من الدراسات النمطية التي تؤكد على ان الايديولوجية هي العامل الحاسم في تفاعلات الدول فيما بينها على حساب المصلحة. ولكن التجربة العملية للتفاعلات الدولية لتركيا وايران هو ان المصلحة هي العامل الحاسم في هذه التفاعلات. ومن اهم الامثلة على ذلك، المساومة والتسوية هي الحاكم للأداء الاستراتيجي التركي والايراني سيما فيما يتعلق بالتفاعلات الاقليمية سواء تعلق الامر بالقضية السورية أم الملف النووي الايراني.

المقاربة الرابعة: التطلع التاريخي للزعامة الاقليمية: التطلع نحو الزعامة الاقليمية اما يأتي نتيجة الخبرة التاريخية المسبقة، أم يأتي من خلال مجموعة من الاستراتيجيات التكاملية للبدء بعملية الزعامة الاقليمية. لقد كانت ولما تزل تركيا وايران تتطلعان نحو الزعامة الاقليمية في منطقة الشرق الاوسط، وكلما كان هنالك فراغ

استراتيجي تحاول القوتين ملؤه، لا بل يصل الى التنافس والصراع فيما بينهما. اذ عملت الدولتين على استثمار الحافز الذي يأتي من البيئة الاستراتيجية الاقليمية بين مدة زمنية وأُخرى.

ثانياً: مقاربات اللاتماثل في الفكر الاستراتيجي التركي والايراني

الاداء الاستراتيجي التركي والايراني يعكس مرتكزات التماثل واللاتماثل في مقاربات المقارنة بين الفكر الاستراتيجي للدولتين. ورغم وجود بعض مرتكزات التماثل، فان معطيات اللاتماثل يمكن تلمس دلالاتها في مجموعة من المرتكزات، التي تميز الفكر الاستراتيجي التركي عن الفكر الاستراتيجي الايراني.

من خلال ما تقدم، يمكن تركيز مقاربات اللاتماثل في الفكر الاستراتيجي التركي والايراني:

المقاربة الفكرية الاولى: العسكرتارية* _ القوة الناعمة: اذا كان الفكر هو المحرك لكل التفاعلات الانسانية، فان الاداء الاستراتيجي الوظيفي هو نتاج هذا الفكر. وتكشف عملية تتبع الاداء الاستراتيجي بان الفكر الاستراتيجي الايراني يعمل على اضفاء الطابع العسكري على ايديولوجيته، بينما تحاول تركيا اضفاء الطابع الاقتصادي الثقافي على البعد الايديولوجي للدولة التركية. اذ تشير الدلالات الواقعية بان ايران تحاول تشكيل ومأسسة المجاميع المسلحة التي تدين لها بالولاء في الدول الاخرى وتحديداً في البيئة الاستراتيجية الاقليمية للشرق الاوسط، فضلاً عن امدادها بالامكانيات المادية والمعنوية، بينما تعتمد تركيا في عملية نشر ايديولوجيتها على القوة الناعمة التي تعتمد على الايغال الاقتصادي التركي، واستنبات معالم الثقافة التركية في البيئة الاقليمية للشرق الاوسط بهدف اقناع شعوب المنطقة بنجاح الانموذج التركي بوصفه نموذجاً يمكن تقليده.

المقاربة الفكرية الثانية: القومية: تؤدي القومية دوراً مهما في الفكر الاستراتيجي التركي والايراني، اذ ترتبط بالبعد التوسعي للدولتين في البيئة الاستراتيجية الاقليمية، وتشكل القومية حافزاً كبيراً لهما في مواجهة القومية العربية وتفعيل دورهما في الشرق الاوسط. اذ تحاول ايران ذات القومية الفارسية وتركيا ذات القومية العثمانية إضفاء الشخصية القومية على سلوكياتهما لتحقيق طموحاتهما التوسعية، ورغم تماثل عملية توظيف البعد القومي لتحقيق الاهداف، الا ان القومية التركية لا تتماثل مع القومية الفارسية، فالقومية الفارسية ترتبط بالايديولوجية الدينية، بينما ترتبط القومية التركية بالعلمانية واللبرالية والانموذج التركي في الحياة.

المقاربة الفكرية الثالثة: الدينية _ العلمانية: يؤدي الدين دوراً مهما في دفع الشعوب في الحكم على الظواهر، فهو القادر على تشكيل الانماط الفكرية والحكم عليها سواء كانت سياسية أم غير سياسية. من هنا يتماثل الاداء الاستراتيجي التركي والايراني على توظيف رمزية الدين في عملية تحقيق أهدافها في البيئة الاقليمية

* تعني توظيف البعد العسكري بجانبية الرسمي وغير الرسمي في تحقيق اهداف الدولة.

للشرق الاوسط، بمعنى، يعتمد الفكر الاستراتيجي الايراني بشكل كبير على البعد الديني، وبذلك تنظر الى الاقليم وفق هذا المنظور، بينما ينظر الفكر الاستراتيجي التركي الى الاقليم من منظور قومي تاريخي ديني.

المطلب الثاني:التماثل واللاتماثل في الاداء الاستراتيجي الوظيفي التركي والايراني

يمثل الاداء الاستراتيجي الوظيفي لتركيا وايران التطبيق العملي للفكر الاستراتيجي للدولتين. وبما ان تركيا وايران دول اقليمية، فان بيئة الفعل الاستراتيجي لهما هي البيئة الاستراتيجية الاقليمية للشرق الاوسط. فكل دولة تحاول ان تستنبت رؤيتها الاستراتيجية لما ينبغي ان تكون عليه منطقة الشرق الاوسط.

نتيجة البيئة الداخلية والخارجية الموآتيه، تعاظم الاداء الاستراتيجي التركي والايراني في البيئة الاقليمية للشرق الاوسط بعد التغيير السياسي في العالم العربي، ورغم تماثل بعض مرتكزات الاداء بينهما، الا ان هنالك عدم تماثل ايضاً. وهذا يمثل انعكاس لتماثل أو عدم تماثل الاهداف الاستراتيجية لتركيا وايران خلال وبعد التغيير السياسي في العالم العربي.

لقد اعتمدت الدولتين في رؤيتهما لمآلات التغيير في النظم السياسية العربية على مدى الترابط والتفاعل الايجابي أو السلبي من الانظمة السياسية التي بدأت ملامح التغيير تتجذر فيها، فالدول التي تتعارض مع الاستراتيجية الايرانية، حاولت ايران تأييد التغيير السياسي فيها ووصف التغيير بانه ذات صيرورة ايجابية تعود بالنفع على شعوبها كما هو الحال في تونس وليبيا، والدول التي لها علاقات تفاعلية راسخة مع ايران، حاولت ايران تقويض عمليات التغيير فيها، وتفسير تلك التحولات بانها ذات نتائج سلبية وتؤدي الى الدمار وعدم الاستقرار كما هو الحال في سوريا. أما الدول التي لم تتضح فيها مآلات التحول نتيجة متغيرات خارجية، تحاول ايران دعم الفواعل السياسية الداخلية التي ترتبط معها بعلاقات قيمية وايديولوجية، والعمل على ايصالها الى قيادة الدولة بهدف تحقيق التكامل الاستراتيجي على المستوى السياسي، وتعد اليمن والبحرين من أوضح الامثلة على ذلك. بمعنى ان البراغماتية هي التي تحكم الاداء الاستراتيجي الوظيفي الايراني.

وعلى النقيض من الاداء الاستراتيجي الايراني، تحاول تركيا توظيف البعد الديني والقومي في عملية الايغال في البيئة الاقليمية في الشرق الاوسط. وبفعل قيادة تركيا من قبل حزب سياسي ذات توجه اسلامي، فان تركيا حاولت دعم التغيير السياسي في العالم العربي، سيما الحركات والاحزاب الاسلامية المتماثلة معها قيمياً وتؤمن بالإسلام السياسي، لا بل حاولت دعم الحركات التي لها فروع عسكرية وتتماثل معها قيمياً.

مما لاشك فيه، أوجد التغيير السياسي في الشرق الاوسط فراغاً استراتيجياً، وبما ان الفراغ يستدعي من يشغله، حاولت القوى الاقليمية المتمثلة في تركيا وايران تفعيل دورها في المنطقة. ومن اهم المقتضيات

المادية والمعنوية لتفعيل ادائهما الاستراتيجي الوظيفي هو استنبات منظومتيهما الفكرية والقيمية. وكما هو الحال بوجود التماثل واللاتماثل في الفكر الاستراتيجي التركي والايراني، فان ذلك يتوافر ايضاً فيما يتعلق بالتماثل واللاتماثل في الاداء الاستراتيجي لهما في البيئة الاستراتيجية الاقليمية للشرق الاوسط.

تأصيلا لما تقدم، يمكن تجذير مرتكزات التماثل في الاداء الاستراتيجي الوظيفي لتركيا وايران في ان كلا الدولتين تميلان الى استخدام بعديّ القوة الناعمة سيما الاقتصادية والثقافية، رغم الايغال التركي في استخدامها. اذ يميلان الى تغيير انماط تفكير شعوب الشرق الاوسط من خلال تقديم المنح الدراسية المرتبطة بثقافتيهما، وتكثيف التبادل الثقافي وبما يسهم في تغيير وصياغة تفكير اكبر عدد من الاجيال الشابة التي لها القدرة على التعامل المستقبلي مع هذه الدول، مما يشكل مدخل مستقبلي تختلف في طبيعته وادواته وتفاعلاته وتوطيد عمليات التأثير والتأثر.

ويتضح التعبير عن التماثل في لغة الخطاب التي يتم توظيفها من قبل الدولتين سيما تلك المستخدمة في خطابات المسؤولين، والتي تأخذ معنى اسلامي. اذ يتم التركيز على مفردات "الدفاع عن المستضعفين"، "والوقوف الى جانب الفقراء"، "الواجب الديني والاخلاقي"، وبذلك تحاول الدولتين تلمس دلالات التعبير القيمي والديني في الدفاع عن شعوب الشرق الاوسط بوصفها شعوبا تخضع للأنظمة الاستبدادية التي تمارس الاضطهاد ضدها.

كما تعد عملية توظيف الوكلاء أحد المرتكزات الاساسية للتماثل في الاداء الاستراتيجي التركي والايراني. ويتم ذلك إما من خلال توظيف الوكلاء الذين يرون في الدولتين نماذج يمكن الاقتداء بها بوصفها نماذج لدول تتبنى المنهج الاسلامي في الحكم، أو من خلال الوكلاء الذين تعمل الدولتين على صناعتهم وصياغتهم وفق المقاربات الفكرية الدينية والقيمية التي يؤمنان بها، ورفدهم بالإمكانيات المادية والمعنوية. لا بل اثبتت التجربة العملية بان الدولتين عملتا على تشكيل مجاميع مسلحة يتم شرعنتها لاحقاً من خلال التنسيق اللاحق مع حكومات الدول في الشرق الاوسط، او قد يتم دعمها ضد الحكومات التي لا تتفق مع اهدافها. ليس هذا فحسب، وانما العمل على دعم الاحزاب والحركات السياسية التي تتوافق مع اهدافها، وتغذيتها بالإمكانيات اللازمة لضمان ولائها بالشكل الذي يجعلها اذا ما وصلت السلطة اقرار سياسات تتوافق مع التوجهات العامة لها، والامثلة واضحة في مصر، وليبيا، وسوريا، ولبنان، والعراق، واليمن وغيرها.

ونتيجة تغّير أهمية أبعاد التأثير في الشعوب مع انبلاج فجر القرن الواحد والعشرين بفعل ادوات التكنومعلوماتية، وتعاظم مستويات البعد الثقافي_الحضاري، سيما بعد التغيير السياسي في العالم العربي، عملت تركيا وايران على توظيف الادوات الثقافية لما بعد الحداثة من خلال تأسيس نماذج للمدارس والمؤسسات الثقافية التي تعكس منظومتها القيمية في الشرق الاوسط، واستنبات مراكز الدراسات والبحوث

التي تعمل على تحليل المجتمعات ومعرفة متغيرات الالتقاء والاختلاف بهدف توظيفها اذا ما تطلبت الحاجة لذلك بالشكل الذي يخدم مصالحها، لا بل العمل على تغذية الاعراق التي تماثل منظومتها القيمية والدينية والثقافية على حساب الاعراق الاخرى والدفاع عن مكانتها داخل دول الشرق الاوسط.

يؤدي الدين دوراً مهما في تحريك الشعوب، فهو القادر على تشكيل الانماط الفكرية والحكم على الظواهر سواء كانت سياسية أم غير سياسية. من هنا يتماثل الاداء الاستراتيجي التركي والايراني على توظيف رمزية الدين في عملية تحقيق أهدافهما في البيئة الاقليمية للشرق الاوسط[1]، سواء من خلال المؤسسات الرسمية أم غير الرسمية. فعلى المستوى غير الرسمي تعمل ايران على توظيف المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب من خلال استضافة شخصيات رسمية دينية من مختلف دول العالم، وعلى المستوى الرسمي تعمل على توظيف مؤتمر الوحدة الاسلامية لاستنبات ومناقشة مقترباتها الفكرية، بالمقابل تعمل تركيا على توظيف الاليات غير الرسمية سيما من خلال توظيف الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في نشر مقترباتها القيمية، بينما تعمل على توظيف المؤسسات الرسمية الدينية سيما منظمة المؤتمر الاسلامي وتقديم رؤيتها لما ينبغي ان يكون علية العالم الاسلامي، سيما وان لها مكانه مهمة فيها لان اغلب من يتقلد منصب الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي تركياً، وعليه تحاول تركيا توظيف اغلب هذه المؤسسات بهدف توحيد وقيادة اغلب شعوب المنطقة التي تتماثل معها قيمياُ بوصفها ركيزة من ركائز العالم الاسلامي، كذلك الحال مع ايران مع اختلاف الرؤية والاهداف والادوات والمصالح.

وعلى النقيض من مرتكزات التماثل في الاداء الاستراتيجي التركي والايراني في الشرق الاوسط، فان هنالك العديد من مرتكزات اللاتماثل. فرغم ان الاداء الاستراتيجي الوظيفي التركي يرتكز في تعامله على الحفاظ على الدولة ذات السيادة، مع ضرورة ان تكون سلوكيات النظام السياسي في دول الشرق الاوسط تتوافق مع التوجهات التركية، فان ايران تحاول من خلال ادائها الاستراتيجي الى الغاء الحدود بوصفها حدود وضعها الاستعمار، لا بل مثلت حواجز غير طبيعية بين الشعوب الاسلامية وتهدف الى تقويض وحدة العالم الاسلامي، كما انها من صناعة الامبريالية العالمية.

وبينما تعمل تركيا على تكثيف ترابطاتها مع الاحزاب السياسية التي تتوافق مع مقارباتها الفكرية لما ينبغي ان يكون على الشرق الاوسط، وبشكل اقل من ذلك بكثير دعم المجموعات المسلحة في الشرق الاوسط، والعمل على تمكينها سياسياً، تجهد ايران في دعم الجماعات العسكرية المؤدلجة عقائدياً، لا بل العمل على تمكينها سياسياً، وتحويلها الى جماعات مؤثرة في عملية صنع القرار السياسي في الدول الفاعلة فيها.

---

[1]– ينظر: سمير سبيتان، تركيا في عهد رجب طيب اردوغان، (الاردن: دار الجنادرية للنشر والتوزيع، 2011)، ص42.

وعلى النقيض مما تبغية تركيا، سيما تقديم ذاتها لدول الشرق الاوسط على انها انموذج للدولة التي تجمع بين الاصالة والمعاصرة، وبين الجانب الديني والحداثي، وتحديداً وفق معايير الدولة الحديثة، فان ايران تحاول تقديم ذاتها على انها انموذج للدولة الثورة التي تهدف الى استقطاب الجماهير وتحشيدهم وتغيير مدركاتهم بهدف تقويض الحدود التي وضعتها قوى الاستكبار العالمي.

تجذيراً لما تقدم، وعلى خلاف ما هو سياسي واستراتيجي وثقافي، يتأصل اللاتماثل في الاداء الاستراتيجي التركي والايراني في التفاعلات الاقتصادية مع البيئة الاستراتيجية للشرق الاوسط. اذ تعمل تركيا على اقامة علاقات اقتصادية رسمية واستثمارية وتبادل تجاري مع دول الشرق الاوسط، سواء بشكل رسمي مع حكومات الدول، ام مع الافراد والشركات الاستثمارية في هذه الدول، بينما تعمل ايران على اقامة علاقات تجارية واقتصادية رسمية وغير رسمية، واضحة وغير واضحة، سواء من خلال التبادل التجاري بينها وبين دول الشرق الاوسط، ام من خلال الافراد والشركات الاستثمارية، ام من خلال العلاقات الاقتصادية غير الرسمية التي يقوم بها الافراد سيما تجارة المخدرات من افغانستان مروراً بإيران والشرق الاوسط، أم غسيل الاموال، وكل ما تقدم وان اختلفت اساليب وادوات الدولتين، فإنها ترفد الدولتين بأموال وامكانيات مالية هائلة.

كما يتجلى اللاتماثل في الاداء الاستراتيجي الوظيفي التركي والايراني على مستوى النشاط الدبلوماسي. ويترسخ ذلك من خلال توظيف الادوات الدبلوماسية سيما السفراء ومن هم بمعيتهم. ورغم ان النشاط الدبلوماسي للدول يتجسد فيه الجانب العلني والسري، فان تركيا تعمل على توظيف الامكانيات الدبلوماسية وتقديم ذاتها وفق الاجراءات الدبلوماسية التقليدية، وتعمل وفق براغماتية تستند على الاولويات الدبلوماسية، وتتنوع نسبة التركيز على المناطق التي تشكل اولوية لتركيا، فضلا عن التوجهات التركية سواء كانت عثمانية، أم قومية، أم دينية، وعلى النقيض من ذلك، تعمل ايران على توظيف الادوات الدبلوماسية سيما السفراء منها وفق اولويات فلسفة الدولة الثورة التي تؤمن بها بالشكل الذي يتناسب مع المصلحة والايديولوجية والاولويات الجغرافية، اذ يتعمد تعيين السفراء في الشرق الاوسط على الاولويات الجغرافية والقيمية، من مثل تعيين السفراء في الشرق الاوسط يكون ممن خدموا في الحرس الثوري الايراني، بينما في افريقيا والبلقان هم سفراء من اجل الدعوة، ويتم تعينهم بناءاً على توصية من وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، وبالمقابل توظيف السفراء في اوروبا عادة ما يكونوا سفراء من السلك الدبلوماسي الايراني.

علاوة على ما تقدم، تتجذر السلوكيات والمواقف التركية تجاه القضايا والظواهر السياسية المرتبطة بالبيئة الاقليمية للشرق الاوسط استناداً الى فكرة الحكم والادارة، بينما ينطلق السلوك السياسي الايراني من التأسيس لفكرة المعارضة. كما يتحكم السلوك السياسي التركي والايراني في البيئة الاقليمية للشرق الاوسط في

مدى التنافس والصراع بين القوتين سواء كان مؤطراً باطار المصالح أم الاطار القيمي، والتاريخ يقدم امثلة فاعلة عن تحول عمليات التفاعل بين مدة زمنية واخرى.

الخاتمة

لا يمكن ادراك الاداء الاستراتيجي الوظيفي للقوى الاقليمية دون الايغال في التفكير الاستراتيجي لها، وبما ان هنالك سمات متماثلة للقوى الاقليمية في البيئة الاستراتيجية الاقليمية، فانه يتوافر كذلك سمات لا متماثلة فيها. الحاكم لما تقدم هو الفكر الاستراتيجي للدولة وصيرورته التاريخية ونوعية تفكير الشعوب سيما فيما يتعلق برغبتها للتحكم في الاخر الذي يتجذر في الاقليم المجاور.

لكل تفاعل فرصه التي تدفعه نحو التقدم، وكوابحه التي تعيق تقدمه، وبما ان منطقة الشرق الاوسط التي تشكل بمجموعها الوطن العربي هي منطقة حيوية، فإنها موضع استقطاب لكثير من القوى الاقليمية والدولية، وقد استخدمت وسائل عديده من اجل ان تنفذ الى هذه المنطقة، بعضا فشل، والبعض الاخر يحاول ديمومة اي نجاح يحققه، ولكن اغلب هذه الدول فشلت في التعامل مع هذه الدول التي تملك مقومات القوة الكامنة، ذلك ان تعاملها معها اعتمد على ما يسمى سياسة الكسب السريع، وحتى الدول التي تملك علاقات على المستوى الاستراتيجي فان علاقاتها معها تعتمد على المصلحة المادية دون المصلحة المعنوية البعيدة المدى.

متغيرات القرن الحادي والعشرين متسارعة ومتفاعله مع بعضها البعض، والقوى الفاعلة متغايرة ومتباينة في إمكانياتها ومقدراتها ووسائل تأثيرها، ولان سمة التفاعل والعيش المشترك هي سمة هذا القرن، فان ذلك يكون اكثر عمقا فيما يتعلق بالتفاعل التركي والايراني مع البيئة الاستراتيجية الاقليمية للشرق الاوسط، بل مستقبل هذه التفاعلات بجوانبها كافة.

تؤدي البيئة الاستراتيجية الداخلية للقوى الاقليمية سيما تركيا وايران فعلاً مهماً في عملية الايغال أو الانكفاء عن تأدية الاداء الاستراتيجي الوظيفي الداخلي والخارجي. اذ تؤدي عوامل مثل الصفات الشخصية للشعب، والمراحل الزمنية، والتجارب التاريخية والعلاقة التفاعلية مع الشعوب الاخرى دوراً مهما في تشكل الفكر الاستراتيجي لتركيا وايران. وعلى النقيض من الرؤية التي تذهب الى ان الايديولوجية التي تؤمن بها الدولة تمثل الحاكم للأداء الاستراتيجي الوظيفي لها، فان المصلحة قد تماثل او ترتفع في عملية التفاعل مع البيئة الاستراتيجية الاقليمية للشرق الاوسط، وهو ما يتضح بشكل جليّ في حالة تركيا وايران بوصفهما قوى اقليمية تتجذر فيهما الايديولوجية الدينية والقومية.

وبما ان الاداء الاستراتيجي الوظيفي يمثل انعكاس وتعبير عن التطبيق الفعلي للفكر الاستراتيجي الايراني والتركي، فان مركز الثقل للأدوات المستخدمة لا تتماثل في عملية تحقيق الاهداف. فبينما تميل ايران الى استخدام عسكرة الادلجة وادلجة العسكرة في البيئة الاستراتيجية الاقليمية للشرق الاوسط، فان تركيا تميل الى استخدام ادلجة القوة الناعمة الاقتصادية والثقافية في عملية تحيق اهدافها في البيئة الاقليمية للشرق الاوسط.

تجذيراً لما تقدم، فان الصيغة النمطية والمتمثلة في ان الايديولوجية هي الحاكم للتفاعل الاستراتيجي التركي والايراني تجاه البيئة الاقليمية للشرق الاوسط لم تعد تأتي مبتغاها، فالتجربة العملية للاداء الاستراتيجي تجذر فكرة مفادها بان المصالح التركية والايرانية هي التي تحدد سلوكياتهما وليس الايديولوجية، لا بل تتراجع الايديولوجية الى حد كبير اذا ما خضعتا لاختبار الاولويات في سلم اولويات الفكر الاستراتيجي.

ومن اهم الامثلة على ذلك هو الملف النووي الايراني الذي اتضحت فيه بشكل كبير مرتكزات المساومة والتسوية مع "الشيطان الاكبر"، بالنسبة لايران، والاداء الاستراتيجي الوظيفي التركي بعد التغيير السياسي في العالم العربي المتمثل في زيادة الترابط التركي العربي والعمل على تغيير انماط تفكير شعوب الشرق الاوسط بالشكل الذي يرسخ فكرة مفادها تركيا دولة انموذج، وينبغي للدول الاخرى ان تحذو حذوها، فضلاً عن انها تواكب متغيرات القرن الواحد والعشرين. من هنا نصل الى صحة الفرضية التي سيقت في اطار البحث من ان هنالك جوانب للتماثل بين تركيا وايران، فضلا عن هنالك مرتكزات للاتماثل، ويتضح ذلك في الاداء الاستراتيجي التركي والايراني تجام منطقة الشرق الاوسط، وسمو المصلحة على الأيديولوجيا اذا ما خضعتا لاختبار الاولويات الاستراتيجية في الاداء الاستراتيجي الايراني والتركي.

وفي ضوء ذلك هل ستعيد تركيا وايران القرن والواحد والعشرين تجربة فرض الهيمنة، ام انهما سوف يعملان على توظف قربهما الجغرافي وامكاناتهما المادية والمعنوية والروابط التاريخية والدين المشترك من اجل تفعيل علاقاتها مع العرب بشكل يقوم على اساس احترام الاخر وثقافته والعمل على تقويض المعوقات التي تعترض بناء علاقات ايجابية طويلة الامد تستند على التدرجية في الاولويات، وبالمقابل كيف يرى العرب مستقبل التفاعل التركي الايراني في القرن الحادي والعشرين، وماهي مجالات التفاعل العربي التركي وماهي معوقات وفرص هذا التفاعل، بل ماهي المشاهد المستقبلية لهذا التفاعل في ضوء نمو مكانة القوى الاقليمية سيما تركيا وايران في النظام الاقليمي، هل سيتجه نحو التقدم ام التراجع ام التقدم البطيء. كل هذه التساؤلات سوف تجيب عنها مرتكزات التفاعل الايجابي او السلبي التركي والايراني مع الشرق الاوسط وجوهره العالم العربي في المستقبل.

المصادر:

1- أحمد داود اوغلو، العمق الإستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة محمد جابر وطارق عبد الجليل،(بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2011).
2- أحمد مجدي السكري، العلاقات التركية الأوربية بين اشكاليات مفاوضات الانضمام وآفاق المستقبل، المجلة العربية للعلوم السياسية،(العدد36، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2012).
3- أعظم شبلي، توقعات بمستقبل إيجابي للاقتصاد التركي، مجلة آفاق المستقبل، (العدد4، مركز الأمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، أبو ظبي، 2010).
4- امينة مصطفى دلة، الجيوبوليتكية التركية: الحتمية الجغرافية وسؤال الهوية، (القاهرة: المعهد المصري للدراسات، 2012)، ص 2.
5- رجائي سلامة الجرابعة، الاستراتيجية الايرانية تجاه الامن القومي العربي في منطقة الشرق الاوسط:1979-2011، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الاوسط، الاردن، 2012، ص 93.
6- سمير سبيتان، تركيا في عهد رجب طيب اردوغان، (الاردن: دار الجنادرية للنشر والتوزيع، 2011).
7- عبير العندور، بدائل التوجه السياسي التركي المعاصر، المجلة العربية للعلوم السياسية،(العدد33، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2012).
8- فاطمة الصمادي، التيارات الاسلامية في ايران(بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012).
9- مجيد محمدي، اتجاهات الفكر الديني المعاصر في ايران، ترجمة ص حسين،(بيروت: الشبكة العربية للابحاث والنشر، 2010).
10- محمد عبد الغني سعودي، الجغرافية والمشكلات الدولية،(بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1971).
11- محمود سالم السامرائي، المساومة في السياسة الخارجية التركية، المجلة العربية للعلوم السياسية، (العدد13، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007).
12- المركز العربي للدراسات السياسية والاستراتيجية، الاهمية الجغرافية لتركيا، عبر شبكة الملومات الدولية: http://acpss.net/site/index.php?go=news&more=94
13- مروان عوني كامل، الإستراتيجية التركية الجديدة في المنطقة العربية، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية،(تكريت: المجلد3، السنة3، العدد12،2011).
14- مكتب الاحصاء التركي، عبر شبكة المعلومات الدولية: http://www.invest.gov.tr/ar-SA
15- موسى النجفي، موسى فقيه حقاني، التحولات السياسية في ايران: الدين والحداثة ودورها في تشكيل الهوية الوطنية، ترجمة قيس ال قيس،(بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، 2013).
16- The SIPRI Military Expenditure Databasekk,Stockholm International Peace Research Institute 2011: http://www.sipri.org/